Miraath.Net
قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم تسجيلًا لمحاضرة بعنوان :

دروس تربوية من شهر رمضان

ألقاها فضيلة الشَّيخ محمد بن غالب العمري

- حفظه الله تعالى -

على إذاعة موقع ميراث الأنبياء ، يوم السَّبت الحادي عشر من شهر رمضان عام أربعة وثلاثين وأربعمائة وألف هجرية، نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع بها الجميع .

إنَّ الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١]

أمَّا بعد، فإن أصدق الكلام كتاب الله -جلَّ وعلا- وخير الهدي هدي نبينا محمد -صلَّى الله عليه وسلَّم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النَّار.

أمَّا بعد:

فإن هذا الشَّهر الفضيل شهر رمضان قد علم المسلمون جميعًا ما فضل الله -جلَّ وعلا- به هذا الشَّهر على غيره من أشهر العام بما ضمَّنه سبحانه لهذا الشَّهر من عبادات عظيمة، وفضائل كثيرة، ونحن اليوم في اللِّقاء الثَّاني عبر هذا

الموقع الذي نسأل الله -جلَّ وعلا- أن يبارك فيه، وفي القائمين عليه، وهو موقع «ميراث الأنبياء»، في كلمة بعنوان الدُّروس، أو دروس تربوية من شهر الصِّيام.

وشهر الصِّيام كما هو معلوم فضائله الكثيرة التي فضَّله الله -جلَّ وعلا- على غيره من الأشهر، ففيه أُنزل القرآن، وفيه تفتَّح أبواب الجنان، وفيه تغلَّق أبواب النِّيران، وفيه تصفد الشَّياطين، وهو شهر رحمة، ما من يوم إلا ولله سبحانه وتعالى فيه عتقاء من النَّار، ولذا فيُعَدُّ هذا الشَّهر من المواسم الفضيلة والفرص العظيمة، وهو بحق مدرسة عظيمة، من مدارس العبودية لله -سبحانه وتعالى-، يتعلَّم المسلم في هذا الشَّهر مكارم الأخلاق، ومعالي الصِّفات، وفضائل الآداب، جعله الله -جلَّ وعلا- أيامًا معدودات، يتعبَّد الإنسان فيه لربِّه -جلَّ وعلا- ويتعرَّض لنفحات الفضل من خالقه -سبحانه- ويهذِّب في هذا الشَّهر نفسه، ويكمل فيه إيمانه، فهو في الحقيقة فرصة عظيمة، وغنيمة وافرة، من اغتنمها فهو دليل حزمه وحرصه، ومن فرَّط في هذا الشَّهر فهو محروم من مواقع الخير، ومواضع الفضل،

فمن طلب الفوز بالخسران، لحقه الخسران بلا شك، ومن طلبه بالجِد، والاجتهاد، والسَّعي، والحرص على الأوقات، وأداء العبادات، كان ممن يرجى له القَبول والسَّعادة، قبول العمل والسَّعادة في هذه الدُّنيا بطاعة الله -جلَّ علا-

وفي الآخرة بالجزاء الوافر من الله -سبحانه وتعالى- والذي منه دخول الجنَّة، والنَّعيم المقيم.

ألا وإنَّ من الدُّروس العظيمة التي يُربي الإنسان عليها نفسه، فيُصلحُ بها حاله، ويقيم بها دينه، والتي نستفيدها جميعًا من هذا الشَّهر الفضيل، وهي كثيرةٌ لا نستطيع في مثل هذا المقام على حصرها، ولا عدِّها، ولكن حسبنا أننا نأتي على أبرز هذه الدُّروس، والتي هي جليَّة واضحة لكل من تأمَّل المقاصِد العظيمة من هذا الشَّهر، وما فيه من العبادات الجليلة.

فمن أعظم الدُّروس بلا شك الإيمان والزِّيادة فيه، فإن هذا الشَّهر مما يُعين العبد الذي يؤدِّي حقَّه حقَّ الأداء، مما يعينه على زيادة إيمانه، وتكميل توحيده، والزِّيادة في حسناته، فإن الإيمان كما هو معلومٌ في عقيدة أهل السُّنة والجماعة، قولٌ وعملٌ واعتقاد، يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية، وموسم رمضان، موسمٌ عظيمٌ لتربية النَّفس على الإيمان، وعلى واجباته، ومستحبَّاته، فهو ما بين ذكرٍ لله – جلَّ وعلا- وما بين أداءٍ للواجبات، وتركٍ للمحرمات، وفعلٍ للمستحبات، وبُعدٍ عن المكروهات، وحرصٍ على قضاء الأوقات فيما يقرِّبه لربه – جلَّ وعلا-،

فوقته موزَّع بين قراءة القرآن، الحرف بحسنة، كما جاء في الحديث ((لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)) والحسنةُ بعشر

أمثالها وهو بين تلاوةٍ، وتدبرٍ، وعملٍ بأوامره، واجتنابٍ لنواهيه، وتصديقٍ لخبره، وكل ذلك من التَّعبد لله – -جلَّ وعلا – بهذا القرآن، وما بين محافظةٍ على صلاة القيام، وصلاة التَّراويح، وقد جاء في الحديث ((مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَة))، وما بين محافظةٍ على صلاة الجماعة، وما بين حرصٍ على النَّوافل من الصَّلوات، والرَّواتب، وما بين إعانةٍ، وتصدُّقٍ، وإحسان، وكل ذلك من العبادات العظيمة التي بلا شك يزداد بها إيمان العبد.

والإنسان الذي يراقب حاله، ويراقب أمر إيمانه، يعرف ذلك في سلوكياته، وفي حالاته، وفي تعبُّداته لله -جلَّ وعلا -، فإن قصَّر في ذلك شَعَر بضعف إيمانه، وعلم أنه على تقصيرٍ، وأنه بعيدٌ عن مراتب العبودية التي أمر الله – جلَّ وعلا – بها عباده، وإذا ازداد من هذه الطَّاعات، شعر بزيادة الإيمان، الله – جلَّ وعلا – يوفق العبد الطَّائع بأن يزيد في إيمانه، ولذلك كان من ازداد من الطَّاعات، ارتقى في مراتب الإيمان، وزاد إيمانه، وذلك بزيادة طاعاته لله – جلَّ وعلا -.

من الدُّروس العظيمة كذلك ما بيَّنه الله -جلَّ وعلا – في كتابه الكريم من أن غاية الصِّيام، هو تحقيق التَّقوى لله -جلَّ وعلا -، فتقوى الله -جلَّ وعلا – مقصدٌ عظيم، وغايةٌ جليلة، وحكمة عظيمة، فإن صيام رمضان من أعظم أسباب التَّقوى، وزكاة النَّفس وإصلاحها، فمن صام لله ـ جلَّ وعلا ـ إيمانًا

واحتسابًا، صلُحت نفسه، وبعُدت عن الرَّذائل، وعن الذُّنوب، وعن التَّقصير في جنب الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولذا قال الله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣]

يقول العلامة ابن سعدي ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ : " أَيْ لِيَكُوْنَ الصِّيَامُ وَسِيْلَة لكُم إِلى حُصُوْلِ التَّقْوى، وَلِيَكُونُوا بِالصِّيَامِ مِنَ المُتَّقِين"، وذلك أن التَّقوى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من فعل المحبوبات لله ـ سبحانه- ورسوله، وترك ما يكرهه الله ورسوله، قال : " فالصِّيَامُ هُوَ الطَّرِيقُ الأَعْظَم لِحُصُولِ هذه الغَايَة الجَلِيلَة التِي تُوصِلُ العَبْدَ إِلى السَّعَادَة وَالفَلاح، فإِنَّ الصَّائِم يَتَقَرَّب إِلى اللهِ بِتَرْكِ ما تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ، مِن طَعَام، وَشَرَاب، وَتَوَابِعِهَا تَقْدِيْمًا لِمَحَبَّةِ اللهِ عَلى مَحَبَّةِ النَّفْس"،

فتقوى الله ـ جلَّ وعلا ـ من أعظم الدُّروس التي يستفيدها العبد، وتقوى الله ـ جلَّ وعلا ـ كما هو معلوم عبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على نورٍ من الله، على علم وفقه، يرجو الإنسان بذلك ثواب الله ـ سبحانه وتعالى ـ وترك معصية الله، على نورٍ من الله، يخشى بذلك عقاب الله ـ جلَّ وعلا ـ فهذه هي التَّقوى، وهو أمرٌ مطلوب من العبد، ولذا الله ـ جلَّ وعلا ـ كثيرًا ما يقول في كتابه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١] ومرةً يجعل التَّقوى، باتقاء ما

يحصل في اليوم الآخر، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [البقرة: ٢٨١] فكثيرًا ما يأمر الله ـ جلَّ وعلا ـ بالتَّقوى، وذلك لأنها منزلةٌ عظيمة من منازل العبودية لله ـ سبحانه وتعالى ـ.

فالعبد إذا وُفِّق لهذه المنزلة، واستفاد هذه المرتبة في هذا الشَّهر، كانت له عونًا على طاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ والاستمرار في ذلك، وكان نتيجة ذلك بإذن الله القبول للعمل، وهو ما يطمع إليه كل عبد إذ لا يحمل في الحقيقة العبد، لا يحمل هم أداء العبادة بقدر ما يحمل هم قبولها من الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإن أمر القبول أمرٌ عظيم، فالإنسان ربما يأتيه من النشاط، ويأتيه من الهمة في أداء عبادة ما، ولكن يبقى الشَّأن في ذلك كله أن يتقبَّل الله ـ جلَّ وعلا ـ، والله ـ جلَّ وعلا ـ لا يتقبَّل إلا من المتقين، كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] فأهل التَّقوى هم الذين يتقبل الله ـ جلَّ وعلا ـ منهم الأعمال الصَّالحة.

وكيف تتحقق للعبد التَّقوى ؟وكيف يعرف العبد أن الله ـ جلَّ وعلا ـ قد وفَّقه في هذه المنزلة ؟ إذا علم العبد من نفسه ترك المحرمات، وعلم العبد من نفسه فعل الطَّاعات، من واجبات ومستحبَّات، فليعلم أنه على مراتب التَّقوى يسير، وأنَّ هذه الغاية العظيمة قد حصَّل منها ما قام به من عمل في امتثال أوامر الله ـ جلَّ وعلا ـ واجتناب نواهيه.

كذلك من الدُّروس العظيمة التي يستفيدها العبد في هذا الشَّهر الفضيل، أمر الإخلاص لله ـ سبحانه وتعالى ـ جاء في الحديث: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)) الحديث،

في هذا الحديث قول الله- جلَّ وعلا- في هذا الحديث القُدسي: ((إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)) ومع أن كل العبادات هي لله- جلَّ وعلا- لا يتقرّب المخلص فيها لغير خالقه- جلَّ وعلا- ومع ذلك فإنَّ الله- جلَّ وعلا- قال في هذا الحديث: ((إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي)) قال أهل العلم: وذلك لأنَّ الصِّيام لا يدخل فيه الرِّياء، فالرِّياء ربما يدخل في الصَّلاة؛ لأنها أعمالٌ ظاهرة، ورُبما يخرج في الزَّكاة إذا أعطى المُزكي ماله، ورُبما يظهر في الحج أو في نحو ذلك من الأعمال، في صلة الرَّحم، في غير ذلك، إلا الصِّيام قال أهل العلم: لأنَّ الإنسان يصوم لله – سبحانه وتعالى، وربما من بجانبه لا يعرف حاله، هل هو صائم أو غير صائم؟، فيتخفَّى، يستطيع أن يتخفِّى بالفطر،

فهذه العبادة لله- سبحانه وتعالى- لا يدخلها الرياء، وهذا أحد توجيهات أهل العلم لهذه الجملة، وقال بعضهم: إن الله- جلَّ وعلا- قد

حدّد لكل عبادةٍ ما فيها من الأجر والثَّواب، وجعل الأجر والثَّواب للصَّائم له – سبحانه وتعالى– من مزيد فضله، ومن كرم إحسانه، فلم يحدده،

الشَّاهد من هذا أنَّ الصِّيام مدرسة عظيمة للإخلاص لله– جلَّ وعلا–، فكما أن الإنسان أخلص لله– جلَّ وعلا– في صومه، فأمسك من أذان الفجر إلى غروب الشَّمس وأذان المغرب، فهو كذلك مطالبٌ بالإخلاص لله– سبحانه وتعالى– في جميع العبادات، فما من عبادة يتقرَّب بها العبد إلى ربِّه– جلَّ وعلا– إلا ويجب عليه في ذلك أن يحقق أمر الإخلاص، فإن العبادة كما هو معلوم لا تُقبل إلا بشرطين:

- الشَّرط الأول: هو الإخلاص لله– جلَّ وعلا–
- والشَّرط الآخر: هو المتابعة للنَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم–

كل عبادةٍ سواءً الصِّيام، أوغير الصِّيام لا يقبلها الله– جلَّ وعلا– إلا بالإخلاص له سبحانه، ولذا قال– جلَّا وعلا–: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] ، وقال–جلَّ وعلا– ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ [الزمر: ١٤] فَيخلص العبد لله –جلَّ وعلا– في عبادته، ليكون ذلك سببًا في قبول هذه العبادة، كل العبادات، العبادة كما هو معلوم من تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه

العبودية: "هي اسم جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال الظَّاهرة والباطنة"،

فهذا درس عظيم للعبد، أن يُصاحب معه الإخلاص في كل عبادة يقوم بها لله- جلَّ وعلا- في أخذه، وفي إعطائه، وفي منعه، وفي ذهابه، وفي إيابه، في كل عبادة يتقرب بها إلى- جلَّ وعلا- لابد وأن يستصحب أمر الإخلاص لله- سبحانه وتعالى- فلا يلفظ من قولٍ يتقرَّب به إلى الله، ولا عمل يتقرَّب به إلى الله إلا وكان الإخلاص في ذلك قائده،

فإن العبد معرّض في هذه الدُّنيا لكثير من العوارض التي تمنعه من الإخلاص، سواءً من الرِّياء، أو من السُّمعة، أو من طلب المال، أومن طلب الجاه، أو نحو ذلك، وقد ينجو الإنسان من أمر الرِّياء في العبادة، ولكن هل ينجو من العُجب؟ لو لم تكن هذه العبادة بين ظهراني النَّاس فوفَّقه الله- جلَّ وعلا- للنَّجاة من الرِّياء، فهل يسلم من أن يُعجب بحاله؟ وأن يُعجب بنفسه، وأنه يقوم وغيره نائم، يصوم وغيره مفطر، يتصدق وغيره بخيل، فهذا أمر عظيم، ومرتبة جلَّيلة لله –جلَّ وعلا–.

ولذا ممَّا يُذكر في مثل هذا المقام جميل ما بوَّبه الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله رحمةً واسعة- في كتاب التَّوحيد بعد أن ذكر باب في ما جاء في الرِّياء ،ذكر بعده باب من الشِّرك إرادة الإنسان بعمله الدُّنيا، نعم قد

ينجو العبد من الرِّياء ومن السُّمعة في عمله ،ولكن هل يا تُرى ينجو من أنَّه في الحقيقة يعمل الصَّالحات، ولكنه يرجو بذلك أمر الدُّنيا سواء من مال، أو من وظيفةٍ ،أو يرجو من ذلك صلاح الأبناء، وصلاح الزَّوجة، والبركة في المال، ولا يفكر في ثواب الآخرة، أو لا ينظر إلى أمر ثواب الآخرة، فإن أيَّ عبادة يتقرَّب بها العبد إلى الله -جلَّ وعلا- يجب فيها الإخلاص لله -سبحانه وتعالى-، والرَّجاء من الله -سبحانه وتعالى- أن يثيبه عليها، وأن يتقبَّلها منه، وأن تكون له في موازين الحسنات يوم القيامة، وما جاء من الصَّالحات، وما جاء من التَّوسعة في الدُّنيا من أثر هذه العبادة، فهو ليس مقصودًا لذاته، إذ المقصود الأول والأعظم هو عبادة الله -سبحانه وتعالى-.

كذلك من الدُّروس العظيمة التي يستفيدها العبد من هذه المدرسة مدرسة الصِّيام، أمر الصَّبر وهذا واضح جليّ، فشهر رمضان شهرٌ يتعلم فيه الإنسان الصَّبر، يصبر عن الطَّعام، ويصبر عن الشَّراب ويصبر عن الملذَّات، فيتحقَّق فيه أمر الصَّبر لله -سبحانه وتعالى- بل تتحقَّق أنواع الصَّبر الثَّلاثة في شهر الصِّيام :

- الصَّبر على طاعة الله .
- والصَّبر عن معصية الله .
- والصَّبر على أقدار الله -سبحانه وتعالى- .

فالصَّبر على طاعة الله -جلَّ وعلا- بما يقوم به من صيام لله -سبحانه وتعالى- وهيَّ عبادةٌ عظيمة يتقرَّب بها إلى ربه -جلَّ وعلا- .

والصَّبر عن معصية الله، فهو يحجر عينه عن النَّظر، ويحجر سمعه عن سماع المحرم، يحجر عينه عن النَّظر المحرم، وسمعه عن الكلام المحرم، ولسانه عن القول البذيء، وهكذا يحجز رجله عن الذَّهاب إلى المحرم، ويده عن أن يأخذ بها، أو يُعطيَّ بها من المحرم، وهذا كله من الصَّبر لله -سبحانه وتعالى- وهو الصَّبر عن معصية الله.

وكذلك يتحقق فيه أمر الصَّبر على أقدار الله -جلَّ وعلا- بما يصيبه من عطش، وبما يصيبه من جوع، وربما من ألم من أثر الصِّيام وإرهاق، وهو في ذلك صابرٌ يرجو رحمة الله -سبحانه وتعالى- ويخاف عذابه .

ولذا كان أمر الصَّبر في هذا الشَّهر أمرٌ عظيم، ومنزلته منزلةٌ جليلة، الله -جلَّ وعلا- يقول في كتابه الكريم : ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة: ٤٥] جاء عن السَّلف: الصَّبر هو الصِّيام، فسَّروا الصَّبر في قول الله -جلَّ وعلا- ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة: ٤٥] بأنه الصِّيام، وهذا من عظيم مكانته وجزيل فضله، فمنزلة الصَّبر منزلة عظيمة عند الله تعالى، فهو شطر الإيمان، والله -جلَّ وعلا- يوفي الصَّابرين أجرهم بغير حساب، لذلك فنَيلُ هذه الدَّرجة العظيمة في هذا الشَّهر الفضيل، هو نيلٌ لمرتبةٍ عظيمةٍ من مراتب العبودية لله -

سبحانه وتعالى- ،الإنسان يصبر على الجوع، يصبر على العطش، يصبر على ذلك كله ابتغاء مرضاة الله -سبحانه وتعالى- فهو بذلك نائلٌ -إن شاء الله- إن أخلص، وكان عمله بذلك على السُّنة، نائلٌ للأجر العظيم من الله -جلَّ وعلا-.

كذلك من الدُّروس المستفادة، ولعلَّه يكون الدَّرس قبل الأخير: حفظ اللِّسان، حفظ اللِّسان أمره عظيم، الله-جلَّ وعلا- أمر بحفظِ اللِّسان، وألا يقول الإنسان إلَّا خيرًا، ولا يتكلم بأمرٍ إلَّا فيما يعلم أنه يُقرِّبه إلى الله-جلَّ وعلا-، وهذا في آياتٍ كثيرة، منها قول الله-جلَّ وعلا-: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨]

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]

وفي الحديث في الصَّحيح أنه -عليه الصَّلاة والسَّلام-قال: ((الصِّيامُ جُنَّةٌ فإذا كان يومُ صومِ أحدِكم فَلاَ يرفُثْ ولا يصْخَبْ))، هذا الحديث حديثٌ عظيم يدل على أنَّ المؤمن ينبغي له أن يُحافظ على حفظ لسانه، وعلى اجتناب ما يُنقص صيامه، وما يكون سببًا في نقص حسناته،

ولذا جاء في الحديث في البخاري قوله-عليه الصَّلاة والسَّلام-: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))،

المسلم مطلوب منه في شهر الصِّيام، وفي غير شهر الصِّيام أن يحفظ لسانه، فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وذلك في كل زمان، وفي كل مكان، فالمسلم الحقّ هو من يتحلّى بمكارم الأخلاق، ومعالي الصِّفات، ومن أعظم ما يجرُّ على الإنسان السَّيئات، ويُدخله في باب الآثام أمر اللِّسان، ولذا جاء في الحديث الحسن: ((وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))

ولذا كان من حفظ هذا اللِّسان عن الآثام وعن الكلام البذيء، استعمله فيما يُقرِّبه إلى الله-جلَّ وعلا-؛ ضمن له رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم- وحالته هذه، ضمِن له الجنَّة كما جاء في البخاري أنه-عليه الصَّلاة والسَّلام- قال: ((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ)).

إذًا ضمان صلاح اللِّسان، وضمان استقامته على طاعة الله -جلَّ وعلا- وضمان بُعده عن معاصي الله-سبحانه وتعالى- ومناهيه، هو ضمان لدخول صاحبه إلى جنَّات الله-سبحانه وتعالى-.

الأمر الأخير أو الدَّرس الأخير الذي يُربي الإنسان في شهر الصِّيام عليه نفسه ويهذِّبها، ويُقيم أمر حاله على طاعة الله-جلَّ وعلا- هو الإحسان والصَّدقة والإعانة للمحتاج،

فرمضان شهر يحسُن فيه التَّصدّق وأن يجود الإنسان بما يُقرِّبه إلى الله- جلَّ وعلا- في أمر الصَّدقات، ومن تفقُّد المساكين، ومن الحرص على إعانة المحتاج، فإن النَّبي-عليه الصَّلاة والسَّلام-كان حين يلقاه جبريل فيُدارسه القرآن ((كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)) كما جاء في الصَّحيح، أجود بالخير من الرِّيح المرسلة، فهو -عليه الصَّلاة والسَّلام- سريعٌ في طاعة الله -جلَّ وعلا -، مِقْدامٌ فيما يقربه من الله -جلَّ وعلا -،وكان عليه الصَّلاة والسَّلام- من كرمه أنه لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه، فما سأله رجلٌ شيئـًا إلا أعطاه، يأتيه الأعرابي فيجذبه -عليه الصَّلاة والسَّلام- ويرفع صوته أعطني من مال الله الذي أعطاك، فيتبسم -عليه الصَّلاة والسَّلام- ويأمر بإعطائه، تـأتيه المرأة العجوز تأخذ بيده ليقضي لها حاجتها، فيقضي لها حاجتها -عليه الصَّلاة والسَّلام-، فلنا في رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- أسوة حسنة ،كما قال ربنا -جلَّ وعلا -: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]

إن ما يجمع ذلك كله، هو العبودية لله -سبحانه وتعالى- وحُسْن الاتباع، وهو الأمر الذي يستوجب للعبدِ محبة الله -تعالى- فإنه ليس الشَّأن أن تُحِبَّ أنت،

وتدَّعي محبة الله، وإنما الشأن كُلُّ الشأن أن تُحَبَّ أن يحبَّك الله -سبحانه وتعالى- .

يقول الله -جلَّ وعلا- : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]

يقول أهل العلم: هذه الآية هي آيةُ الامتحان، ادَّعى قومٌ محبة الله -جلَّ وعلا -فامتحنهم بمتابعة النبيِّ -عليه الصلاة والسلام -: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]

فالاتباع من أعظم مراتب العبودية لله -جلَّ وعلا-، وفي هذا الشَّهر تنوَّعت مراتب العبودية منها ما ذكرنا والتي في الحقيقة يسلك العبد فيها السَّائر إلى الله -جلَّ وعلا- طريق الرِّضا، والفوز، والفلاح، فيستفيد العبد من هذه المنزلة، منزلة الصِّيام الدُّروس الكثيرة، يستفيد حسن الطَّاعة لربه، والاتباع لنبيه -عليه الصَّلاة والسَّلام-وليس ذلك مما يختص به هذا الشَّهر، فربُّ رمضان هو ربُّ الشُّهور جميعها، وعبادة الله -جلَّ وعلا – متوجبة على العبد في رمضان وفي غيره .

والاتباعُ واجبٌ في كل أمرٍ من أمور الدِّين، لا يقتصر على جانبٍ دون آخر، ولا بابٍ دون غيره، وأحب النَّاس بذلك هم أهل السُّنة والجماعة، أهل

الأثر، أهل الحديث، الذين يتَّبعون ما جاءهم عن نبيهم -عليه الصَّلاة والسَّلام- دون تقديمٍ للعقول الكاسدة، ولا للآراء الفاسدة، بخلاف أهل الأهواء والبدع، الذين يأخذون ما يناسب أهواءهم من الشَّريعة، وما خالف ذلك، فإما أن يكتموه، أو يبدلوه، أو يحرِّفوه، بل إن ما يخالف عقائدهم، وما يخالف أهواءهم، يبغضونه كما قرر ذلك علماء الإسلام .

فأسعد النَّاس بالسُّنن والأحاديث من أخذ بالوحيين بفهم سلف هذه الأمة، فأطاع ربه، واتَّبع نبيه -عليه الصَّلاة والسَّلام- وسلك سبيل الصَّحابة، والمؤمنين من بعدهم، فمن سلك مسلكهم نجا، ومن خالفه هلك، يقول ربنا -جلَّ وعلا -: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]

فحريٌّ بالعبد، وهذا الشَّهر قدَّ قارب انتصافه، أن يصلح من حاله، ويقوِّم نفسه على الحقَّ، ويحقِّق أمر العبودية لله -جلَّ وعلا- بأقواله، وأفعاله، وأن يتعاهد أمر النِّية، وأن يقيمها على ما أمر الله -جلَّ وعلا-به.

أسأل الله -جلَّ وعلا- أن يرزقنا حسن الاتباع لنبيِّه - صلَّى الله عليه وسلَّم- اللَّهم تقبَّل منا وارزقنا مراشد أمورنا، واغفر لنا التَّقصير والزَّلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبة وسلَّم .

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا